الباب الأول

تاريخ إيران القديم

تبلغ مساحة إيران اليوم ١٦٤٨١٩٥ كم مربعًا، وتحيط الجبال الهضبة الإيرانية من جميع الجهات ما عدا الجهة المطلة على الخليج العربي، فتكون هذه الجبال مصدرًا للمياه والحياة على سفوحها خاصة الجهة الشمالية التي تُعدّ أغنى الجهات والمكونة من جبال زاغ روس الممتدة من بحر قزوين إلى بلاد الكرد في العراق، فمن أهم المدن والأقاليم الواقعة في هذه الجهة قزوين وسرخس ومورغان وزابول ولاريجاني ونور وطالقان وجبل وقلعة الموت المشهورة في تاريخ مذهب الشيعة الإسماعيلية، حيث بسطوا سلطتهم حولها في القرن الثالث الهجري على يد حسن الصباح زعيم الحشاشين، فكانت هذه الجبال المنيعة ملجأً للثائرين على الدولة المركزية في العصر الإسلامي أو العصور المتأخرة، أما جبل دما وند المشرف على طهران حيث ينبع منه نهر صغير يعدّه أهل طهران جنة الدنيا ولهم يوم في السنة (٤ تموز/ يوليو) يخرجون إليه صاعدين، وفي الديانة الزرادشتية اعتبر هذا الجبل موطن الإلهة (أوهرا مازدا) وتقع جبال كردستان وزاغ روس بين أذربيجان في الشمال وبلوشستان في الجنوب وكرمان ومكران، أما الجهة المحاذية للحدود العراقية فإن جبال زرادش كوه قرب أصفهان فينحدر منها أنهار عدة: نهر ديز ونهر كرخه ونهر قارون وكلها تتجه نحو الأحواز، أما الجبال الشرقية حيث بلوكستان فأغلبها جرداء وأهم مدنها كرمان وفيها القلعة المهمة قلعة بام التي تشكل بعدها صحراء لوط، ثم جبلي خراسان وبلوكستان حيث الحدود الباكستانية الأفغانية، وقد لاحظ القدماء الإيرانيون ضياع المياه المنحدرة من الجبال إلى الهضبة، فعمدوا إلى توجيهها في قنوات يبلغ عمقها ٣٠٠ متر، وطولها مختلف بحسب الحاجة فيها يمتد إلى ٦٠ كيلومترًا، وقد بلغت نحو ١٢٠ ألف قناة يمكن أن تروي نصف الأراضي الزراعية الإيرانية، وقد ازدهرت هذه القنوات في عهد الدولة الأخمينية في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد دمر الغزو المغولي الكثير منها، واليوم تبدو مهملة، وتحتاج إلى جهد جماعي في تنظيفها وحسن جريانها.

قيل: إن كلمة إيران تعني بلاد الأريين، ويقصد بها الهضبة الواقعة شرق العراق، ويحدها من الشمال روسيا، وتحدها من الشرق والشمال الشرقي باكستان وأفغانستان على التوالي، وتطل على بحر قزوين الواقع شمالها، كما تنبسط شواطئها على خليج العرب من ناحية الجنوب والجنوب الغربي، وأيضًا خليج عمان الذي يحد أراضيها من جهة الجنوب الشرقي.

ومنذ الألف الثالث قبل الميلاد كانت هذه الهضبة مسرحًا للمرور واستقرار مختلف الأقوام القادمين إليها، خاصة من الشمال والغرب وأقوام من الجنس الهندو أوروبي الآري ومن صحاري آسيا الصغرى من تركمانستان والمغول، وكذا من بلاد الأناضول، وقد كونت هذه الأقوام إمارات أو ممالك صغيرة، تناحرت فيما بينها، أو تعرضت للغزو خاصة من ممالك وادي الرافدين الأشوريين في الشمال ومركزهم نينوا والبابليون في الوسط ومركزهم بابل والأكديون في الجنوب ومركزهم أور (لكش) أو بخلاف ذلك تقوم بعض هذه الممالك بغزو العراق على فترات مختلفة من التاريخ القديم، ومن أهم تلك الأقوام التالية.

وأما بلاد عربستان فسنفرد لها بحثًا مفصلًا فيما بعد باعتبار أصلها عربيًّا.

الفصل الأول

القبائل الإيرانية القديمة

١- قبائل الميديين.

وقد تعرضت إماراتهم للغزو من قبل الأشوريين في عهد تجلات بلاسر، وقام بأسر الملك الميدي ونفيه إلى سوريا هو وأسرته، وقد حاول الميديون غزو بابل، وقد نجحوا فيما بعد في غزو العراق والشام وفلسطين، وذلك بعد تحالفهم مع الممالك الأخرى في هضبة إيران في عهد ملكهم (حشا ثريتا).

وفي عهد ملكهم (كيا كسا روس) تحالفوا مع ملك بابل تبوبوا سر ضد الأشوريين، فغزوا نينوا، وزوج ابنته إلى نبوخذ نصر، وكان ذلك عام ٦١٢ ق. م، وقد سقطت هذه المملكة على يد الملك الفارسي كورش في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد.

٢- قبائل الكميريين.

قيل: إنهم قدموا من شبه جزيرة القرم والقوقاز في بداية القرن الثامن قبل الميلاد، وأسسوا مملكة (أور أرتو) التي سيطرت على بقعة واسعة من شمال غرب إيران وشمال العراق، وقد غزاهم الملك الأشوري شلما نصر في عام ٨٣٤ ق. م، ولكن في عهد ملكهم سارودي قاموا بغزو الأشوريين والانتصار على ملكهم تجلات بلاسر، وذلك سنة ٧٤٣ ق. م[1] ولكن في عهد الملك سرجون الثاني رد الأشوريون اعتبارهم، فغزوا مملكة أور أرتو سنة ٧١٤ ق. م، وألزموا بتقديم الجزية لملك أشور.

---

(١) برنار أوركاد: (جغرافية إيران السياسية ص١٣-٢٦) جروس برس ناشرون، ٢٠١٢م.

٣- العيلاميين.

وقد قدموا إلى إيران من غرب آسيا في بداية الألف الثالث قبل الميلاد، وسكنوا الأقاليم المتاخمة للخليج العربي، وذكر (كلمان هور ولويس دلابرت) أن السكان الأصليين لهذه الأرض كانوا يسمونها حالتام أو حاتام، ثم تطورت التسمية فيما بعد إلى الأحواز أو خوزستان[١] فكانوا في صراع طويل مع الأكديين جنوب العراق، وأكبر غزو تعرض له العيلاميين كان من قبل سرجون ملك أكد، وقد حاول الملك العيلامى بوز وانشو غزو الأكديين، ولكنه لم يستطع بسط نفوذه مدة طويلة، ودخل العيلاميين في حروب عدة مع جيرانهم العراقيين مع هذا كان العيلاميين في فزع من قوة سرجون الأكدى ووحدة إدارة مدنه السومرية الأكدية، ولذا فقد اتفقوا مع الحكام الآخرين، وكانوا ينوون القضاء على الحكم الأكدى الجديد بقيادة سرجون، ومن الأمثلة على ذلك في زمن الملك ريوش (٢٣١٥-٢٣٠٧ ق. م) ابن الخليفة سرجون الأكدى نجد النزاع بين الأكديين والعيلاميين وحلفائهم من المقاطعات في جنوب غربي إيران، وكرر العيلاميين محاولاتهم التدخل في شؤون بلاد وادى الرافدين ثانية. وعمدوا إلى إيجاد تحالف عسكري مع أعداء حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق. م)[٢].

٤- الكاسيون.

وهم مجموعة قبائل هندو أوربية قدموا من آسيا الصغرى، واستوطنوا المنطقة المجاورة لهمدان وما حولها، وأصبح لهم قوة يرمزون لها بالحصان والشمس، وقد غزوا مملكة بابل في القرن الثامن عشر قبل الميلاد وبمساعدة من العيلاميين، وامتد نفوذ العيلاميين إلى بابل إلى أن جاء الملك البابلي حمورابي

---

(١) عبدالنبي القيم: عرب إيران (إيران وتاريخ عرب الأهواز) ص٥٠، ترجمة: كاظم الجابري، مصر، الجيزة، ٢٠١٣م.

(٢) جون ليمبرت: إيران حرب مع التاريخ ترجمة: حسين عبدالزهرة مجيد، ص٦٨ وما بعدها، جامعة البصرة، مركز الدراسات الإيرانية، البصرة، ١٩٨٢م.

سنة ١٧٢٨ ق. م، فطرد العيلاميين من العراق، ثم غزا مملكتهم، وأسقطها، ولكن العيلاميين بعدها أرجعوا نفوذهم على بابل وعلى جنوب العراق إلى أن جاء الملك البابلي نبوخذ نصر، فحرر بلاده من نفوذ العيلاميين أواخر القرن الخامس قبل الميلاد.

٥- الفرس (الأخمينيون).

وهم موجة القبائل البارسية الأخمينية القادمة من آسيا الصغرى، ودخلت مع العيلاميين في صراع، وأسسوا مملكتهم القوية في عهد ملكهم دارا وقمبيز، وسيطروا على أغلب الأقاليم الإيرانية إلى أن جاءهم الغزو الروماني بقيادة إسكندر المقدوني سنة ٣٣٠ ق. م الذي استكمل غزوه عابرًا إلى الهند، ولكن بعد ضعف حكم اليونان توحد الفرس بعد شتاتهم خاصة في عهد بابك بن ساسان، وهو مؤسس الدولة الساسانية، واتخذت المدائن (طيسفون) عاصمة لهم، فبسط الساسانيون حكمهم على الهضبة الإيرانية وعلى العراق إلى القرن السابع الميلادي حيث الفتح الإسلامي وقبل ذلك غزا الأخمينيون بقيادة كورش مدينة بابل سنة ٥٣٩ ق. م، وجعلوها بلده تابعة لدولتهم.

غزو الأكاسرة الفرس لبلاد العرب.

ومن حروب الفرس مع العرب تدميرهم مدينة الحضر، وهي من المدن العربية العامرة المحصنة وذات حضارة راقية، وكان أول ملوك الحضر سنطروق الذي يلقب نفسه بملك العرب، وكان ملكها (الضيزن) بن معاوية الذي قتله شابور الأول بن أرد شير بابك ٢٤٠-٢٧١م مع من كان معه من عشيرته قضاعة.

ومن حروب الفرس مع العرب حرب ملك تدمر، فقد تشكلت إمارة تدمر على أنقاض دوله الأنباط... وكانت السيادة فيها للعرب، وعندما شن شابور الأول (٢٤٠-٢٧١م) حربًا ألزمهم الحياد، وفي عهد شابور الثاني (٣٠٩-

٣٧٩م)[١] كان أول عمل قام به هو الانتقام من العرب كما ذكر الطبري (انتخب ألف فارس من صناديد جنده وأبطالهم، وتقدم إليهم في المضي لأمره، ونهاهم عن الإبقاء على من لقوا من العرب وهم غابرون، وقتل منهم أبرح القتل، وأسر أعنف الأسر، وخرب بقيتهم، ثم قطع البحر في أصحابه فورد الخط، واستقر في بلاد البحرين يقتل من أهلها، ولا يقبل فداء، وليعرج على غنيمة، ثم مضى على وجهه فورد هجر وبها ناس من الأعراب تميم وبكر بن وائل وعبد قيس، فأفشى فيهم القتل، وسفك فيهم من الدماء سفكًا سالت كسيل المطر.... ثم على بلاد عبد قيس، فأباد أهلها إلا من هرب منهم ولحق بالرمال، ثم أتى إلى اليمامة، فقتل بها تلك المقتلة، ولم يمر بماء من مياه العرب إلا غوره ولا جب من جبابهم إلا طمه، ثم أتى قرب المدينة، فقتل من وجد هناك من العرب، وأسر، ثم عطف بلاد بكر وتغلب فيما بين مملكة فارس ومناظر الروم بأرض الشام، فقتل من وجد بها من العرب، وسبى، وطم مياههم، وأسكن من بني تغلب من البحرين دارين واسمهما (هيج والخط) ومن كان من عبد قيس وطوائف من بنى تميم (هجر) ومن كان من بكر بن وائل (كرمان) وهم الذين يدعون (بكر أبان) ومن كان منهم من بني حنظلة (بالرميلة من بلاد الأحوز...)[٢] وفى سنة ٥٣٦ ميلادية غزا الفرس عمان، ولكن العرب بقيادة مالك وعمرو (ابنيّ فهم بن تميم الله) هزموهم، ومن المعارك المشهورة التي هزم فيها الفرس معركة زي قار في وسط العراق التي حدثت بعد البعثة وقبل الهجرة حيث طلب كسرى أنو شروان نساء من النعمان بن المنذر ملك الحيرة، فرفض النعمان ذلك، وترك الحيرة، ونزل

(١) ساهر رافع: تاريخ وحضارة إيران، ص١٣-٤٩ مكتبة النافذة - القاهرة/ الدكتور: سامي سعيد أحمد - رضا جواد الهاشمي: تاريخ الشرق الأدنى القديم إيران والأناضول، ص٥١ وما بعدها - وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - بغداد، ١٩٠٠م/ برنار أوركاد: المصدر السابق، ص٢٦/ شاكر صابر الضابط (تاريخ المنازعات والحروب بين العراق وإيران) ص٧٦ وما بعدها، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٤م.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٥٦ و٥٨.

عند بني شيبان في ذي قار سرًّا، حيث أودع نساءه عندهم، وقتل النعمان في سجنه عند كسرى، فلما جاء كسرى بجيشه يطلب النساء قاتلته العرب أيامًا تذود عن شرفها، فهزم الفرس شر هزيمة، فكانت بكر بن وائل تفخر بذلك على العرب، وغزا الفرس ٦١٤م الشام وبيت المقدس، فهزموا الروم، فلما بلغ ذلك الرسول ﷺ أبلغ المسلمين سورة الروم حيث تنبأ الرسول ﷺ بأن الروم سيغلبون الفرس بعد ذلك في بضع سنين، حيث تم ذلك سنة ٦٢١م وطرد الروم الفرس من بلاد الشام، وفى السنة السادسة من الهجرة أرسل الرسول ﷺ رساله مع عبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى، فلما وصله مزق كسرى الرسالة التي يطلب الرسول ﷺ فيها أن تسلم الفرس، وأمر كسرى واليه على اليمن باذان أن يرسل بمن يأتيه بمحمد ﷺ فأرسل اثنين من رجاله إلى المدينة حيث أبلغا الرسول ﷺ بما يطلبه كسرى، فطلب منهم الرسول ﷺ أن يرجعا، وأخبرهما بأن ابن كسرى قتل أباه، وحملهما رسالة إلى باذان أن يدخلوا في الإسلام، فلما قدما إلى باذان، وأخبراه بهذه المعجزة دخل الجميع في الإسلام، وأصبح فرس اليمن أولئك يسمون الأبناء إكرامًا لهم حيث قاتلوا مع المسلمين لنشر دعوة الإسلام في اليمن.

اللغة الفارسية:

وهي لغة الأقوام البارسية التي أصبحت لها السيادة على بقية القبائل الإيرانية، فكانت هذه اللغة فيما بعد رمزًا لوحدة الشعوب الإيرانية من أصول مختلفة التي جاءت إلى إيران في الأزمان الغابرة، وكانت اللغة الفارسية هي اللغة السائدة في القرن الرابع قبل الميلاد، ثم تطورت مع الزمن مثلها كبقية اللغات، فقد دخلت عليها عناصر من اللغة التركية؛ وذلك بسبب التداخل التاريخي بين الشعبين التركي والإيراني، وتمثل مفردات اللغة التركية نحو ٣٪ من اللغة الفارسية، ولكن أهم تطور حصل في اللغة الفارسية هو دخول المفردات العربية

عليها بعد الفتح الإسلامي، وتبنى الإيرانيون المسلمون المفردات العربية تلك بوصفها جزءًا من الديانة الإسلامية وضرورة معاشية وتجارية مع العرب إلى أن أصبحت المفردات العربية تلك جزءًا لا ينفك عن اللغة الفارسية وفي موجة من موجات التعصب القومي الفارسي أمر الشاه البهلوي علماء اللغة الفارسية تنقيتها من العربية، فباءت محاولاتهم بالفشل الذريع حيث قاموا بتغيير بعض الجمل العربية إلى ما يقابلها بالعربية أيضًا حيث لم يجدوا لها مقابلًا بالفارسية، فإن نحو ٨٤٪ من الإيرانيين يتكلمون الفارسية والبقية لا يعرفونها، وإنما يتكلمون لغتهم القومية كالبلوشية أو الكردية، والفارسية هي السائدة في أفغانستان وطاجيكستان.